تاريخ الأندلس الاقتصادى

فى عصر دولتى المرابطين والموحدين

دكتور

كمال السيد أبو مصطفى

أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

كلية التربية - جامعة الإسكندرية

مركز الإسكندرية للكتاب

٤٦ شارع الدكتور مصطفى مشرفة

ت ٤٨٢٦٥٠٨١ - إسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

« وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب »

«صدق الله العظيم »

المقدمـــــة

(أ) عرض عام لموضوع البحث ومنهج الدراسة

(ب) تحليل لأهم المصادر

(أ) عرض عام لموضوع البحث ومنهج الدراسة :

يتناول موضوع البحث تاريخ الأندلس الاقتصادى من خلال دراسة لمصادر الثروة الاقتصادية فى الأندلس فى عصر دولتى المرابطين والموحدين .

وتعتبر فترة حكم المرابطين والموحدين من أزهى الفترات التى شهدتها الأندلس ، فقد نعمت خلالها وعلى الأخص فى عهد حكامهم العظام أمثال يوسف ابن تاشفين وعبد المؤمن بن على ويوسف بن عبد المؤمن ويعقوب المنصور – بنوع من الأمن والاستقرار كان لهما أعظم الأثر فى الازدهار الاقتصادى الذى أصابته بلاد الأندلس فى ظل هاتين الأسرتين .

وقد اهتم الدارسون الحديثون بالتاريخ السياسى لدولتى المرابطين والموحدين وألفوا فيه العديد من المؤلفات ، غير أن التاريخ الاقتصادى للأندلس لم يحظ بنصيبة من اهتمام الباحثين إلا فى الستينات من هذا القرن عندما صدر أو مصنف فى تاريخ الأندلس الاقتصادى فى عصر الدولة الأموية للباحث الباكستانى أمام الدين وعنوانه :

" The economic history of spain under the umayades "

ثم تلى ذلك بعض البحوث التى تتعلق بالحياة الاقتصادية فى عصر الطوائف والمرابطين ، من أهمها البحث الذى أعده الدكتور السيد عبد العزيز سالم عن مظاهر الازدهار الاقتصادى لمدينة المرية الإسلامية فى عصرى الطوائف والمرابطين بعنوان :

" Algunos aspectos del flore cimiento economico de almeria islamica durante el periodo de los taifas de los almoravides "

وبحث المستعرب الاسبانى المعروف الدكتور خواكين بالبى برميخو J.Vallve Bermejo حول بعض المظاهر الاقتصادية فى أسبانيا الإسلامية فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) بعنوان

" Espana musulmana en el siglo xl : Aspectos economicos "

ومقالة أخرى للدكتور محمد كمال شبانه تتعلق بإقتصاد الأندلس فى عصر بنى

الأحمر أصحاب مملكة غرناطة وهو أخر عصور الإسلام فى الأندلس .

وتلا ذلك – وبالتحديد فى أواخر السبعينات وبداية الثمانينات – ظهور بعض الأبحاث المتعلقة بالحياة الاقتصادية فى المغرب والأندلس ، ومن أهمها دراسة تقدم بها السيد / محمد التهامى لنيل درجة الماجستير من جامعة الاسكندرية حول الحياة الاقتصادية فى الأندلس فى عصر الدولة الأموية ، ودراسة أخرى لباحث سودانى هو عز الدين موسى لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة الأمريكية ببيروت بالنشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى خلال القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) .

ويتضح لنا مما سبق أن هناك فجوة فى دراسة التاريخ الاقتصادى للأندلس وهى الفترة الخاصة بدولتى المرابطين والموحدين ، التى لم تنل اهتماما جديا من قبل الباحثين على نحو يتسق والفترات السابقة أو اللاحقة . وعلى هذا النحو عزمت على دراسة موضوع الثروة الاقتصادية فى الأندلس فى عصر دولتى المرابطين والموحدين ، لما لتلك الفترة من أهمية فى دراسة تاريخ الأندلس الحضارى عامة والإقتصادى على وجه الخصوص ، ولسد الثغرة المتبقية فى دراسة التاريخ الاقتصادى للأندلس .

وعلى أية حال فقد أدركت منذ أن قررت دراسة هذا الموضوع مدى الجهد الواجب علىّ بذله ، والصعوبات التى سوف أواجهها ، ومرجع ذلك أن هذا الموضوع يتعلق بجوانب اقتصادية قلما يتعرض لها الباحثون فى التاريخ ، ومن المسلم به أن الكتابه فى التاريخ السياسى تعتبر أيسر بكثير من الكتابة فى الجوانب المختلفة من التاريخ الحضارى ، لأن المصادر التارخية تتحدث بإسهاب عن الحوادث التاريخية سواء السياسى منها أو العسكرى ، كما أنها مليئة بأخبار الأمراء والحكام ، فى حين تكاد هذه المصادر تصمت عن ذكر الجوانب الحضارية ، كما أن المؤرخين القدامى فى العصور الوسطى عامة كانوا يركزون كل عنايتهم على التاريخ السياسى ، وقلما جذبت انتباههم بعض الظواهر الاقتصادية أو الاجتماعية ، مما يترتب عليه ندرة المادة العلمية المدونة فى هذا المجال فضلا عن الصعوبة والمشقة التى يعانيها الباحث عند قيامه بجمع المادة العلمية لمثل تلك الموضوعات ، ذلك أن البحث فى التاريخ الاقتصادى يجد لزاما عليه التنقيب

فى مختلف المصادر ، لأن الإشارات المتعلقة بالمظاهر الاقتصادية موجزة ومبعثرة فى بطون كتب التراجم وكتب الحسبة والفقه وكتب الفلاحة والمصادر التاريخية والجغرافية والوثائق الرسمية .

وعلى هذا تذرعت بالأناة والصبر عند جمعى للمادة العلمية المتعلقة بموضوع البحث فى المصادر المطبوعة أو المخطوطة سواء كانت تاريخية أو جغرافية ، كما قمت فى نفس الوقت بزيارتين لأسبانيا إحداهما لمدة شهر فى صيف ١٩٨٢ م، والثانية بعثة إشراف مشترك بين جامعتى الاسكندرية ومدريد لمدة ستة أشهر ، ما كان له أعظم الأثر فى تكوينى العلمى من جهة وفى إستكمال المادة العلمية ومشاهدة جميع المواقع الأثرية المتعلقة بموضوع البحث والجمع بذلك بين الجانب النظرى والعلمى أو التطبيقى الذى يهدف اليه الاتجاه الجديد فى الدراسات التاريخية والحضارية من جهة أخرى .

وقد توخيت فى دراستى أن أصطنع النقد فى سياق عرضى لعناصر البحث ، كما حاولت أن التزم بالمنهج العلمى القائم على مقارنة النصوص واستخلاص النتائج مع استبعاد الروايات المبالغ فيها والتى كثيرا ما أوردها المؤرخون والجغرافيون المسلمون فى العصور الوسطى .

وقد قسمت الرسالة إلى ثلاثة أبواب رئيسية قدمت لها بمقدمة ثم بدراسة تمهيدية . وتشمل المقدمة على عرض عام لموضوع البحث ومنهج الدراسة ثم تحليل لأهم المصادر . أما الدراسة التهميدية فتتضمن عرضا موجزا للأحوال السياسية فى الأندلس فى عصر المرابطين والموحدين وذلك لارتباط هذه الأوضاع السياسية بالنشاط الاقتصادى .

وخصصت الباب الأول لدراسة الثروة الزراعية والغابية والحيوانية ، فتناولت فى الفصل الأول الثروة الزراعية ، وأشرت فى البداية إلى المظاهر الجغرافية المؤثرة على الزراعية ، ثم ألمحت إلى أهم العوامل التى أثرت على الثروة الزراعية فى عصر دولتى المرابطين والموحدين مثل الجفاف والفيضانات والسيول والعواصف والزلازل والأوبئة